مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.
المجلد:06./ العـدد:01. جوان(2022)، ص98/91

الجذور الأسطورية والعقائدية والإشعاع الرمزي للأرقام في الرواية الجزائرية ـ سبعة وثلاثة أنموذجا ـ

The mythological and ideological roots and the symbolic radiation of numbers in the Algerian novel - seven and three models–

د/ رجاء بن منصور
Radjaunv2@gmail .com
جامعة البليدة 2
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: .2022/01/05 تاريخ القبول: 2022/05/07 تاريخ النشر: 2022/06/02

ملخص:
تعتبر الأرقام من العناصر الأكثر تعبيراً عن التجريب والحداثة في الرواية المعاصرة، حيث يظهر النزوع الأسطوريّ المتّصل بسحرية العدد من خلال ذلك الحضور المهيمن لمجموعة من الأعداد السحرية على مكوّنات أغلب الروايات ذات الطابع العجائبي وبخاصة الحضور الكثيف للرقمين :ثلاثة وسبعة اللذان شكلا بدون منازع ملحمة عددية مقدسة في حياة العامة ، تروي لنا حيرة الإنسان إزاء عالمه الذي تتكرر فيه الكثير من الأشياء فيتشابه البعض منها، ويختلف البعض الآخر، فيعجز هذا المخلوق البشري عن حل ألغاز محيطه فيلجأ إلى تقديسه ومحاكاة عقول طفولة أجداده الأسطوريين الذين خلفوا كنوزا أسطورية مازالت تفعل فعلها في العقل الذي يطرحها إلى الخارج في شكل أنماط سلوكية يترجمها ما يسمى بالعادات والتقاليد.
الكلمات المفتاحية : التجريب ، الرمز العدد، العجائبية ، الأسطورة، الديانات السماوية .

***Abstract*:**
Numbers are among the most expressive elements of experimentation and modernity in the contemporary novel. The mythical tendency related to number magic appears through the dominant presence of a group of magic numbers on the components of most of the miraculous novels, especially the dense presence of the two numbers: three and seven, which undisputedly constituted a sacred numerical epic. In the life of the public, it tells us of man's confusion about his world in which many things are repeated, some of them are similar, and others differ, so this human creature is unable to solve the mysteries of its surroundings, so it resorts to sanctifying it and simulating the childhood minds of its legendary ancestors who left legendary treasures that are still doing their work in the mind that He presents it to the outside in the form of behavioral patterns translated by .the so-called customs and traditions
***Keywords**: experimentation, number symbol, miracle, myth , Heavenly religions*

تعجّ الحياة أمامنا بالأرقام وتمتلئ بسّحرها وغموضها، واهتمام العامة بنوع معيّن من الأرقام يثير دهشتنا، كأن يقال لك" :ردّد هذا القول ثلاث مرات يحصل معك كذا وكذا" أويقال لك :"أدر هذا الشيء عل رأسك سبع مرات تشفى " .وغيرها من التصرفات التي مازال النّاس يؤمنون بها في عصر التّطور العلمي المذهل .لكن مما لا شك

فيه أن هذه الأنماط من السلوك الإنساني هي ذات جذور تغوص في الماضي السحيق، ماضي البشرية الأول ،ولا شك أن مربطها الأسطورة لأنها ـ وببساطة ـ مرجع أغلب التصرفات الغريبة الساذجة .

ومنه فإن هذه الأرقام المجرّدة اكتسبت قداستها من الموجودات الّتي قرنها بها الإنسان القديم فأصرّ عليها وجسّدها في حياته وأشيائه ومعتقداته وفنونه، فلازمته لأمد طويل.ومن هذا المنطلق، ندرك أنّ« الأرقام تكتسب قداستها من الفكر الأسطوري الذي يوليها كيانا خاصّا ومعنى قدسيا يجعلها محاطة بهالة شبه سحرية، ويسند إليها خواصا تجعلها ذات تأثير. »[1] ومن هنا، فلا يمكن فصل الرقم المجرد عن معدوده للعلاقة التلازمية التي تربطها، فاكتفينا هنا بقولنا" الرقم "في إشارتنا إلى ذلك الاسم المجرد ذي الدلالة الرمزية المكتسبة من مدلوله.

وقد واصل الناس تقديس الأرقام وصبغها مع مسمياتها بصبغة مهو لة من الإجلال والتعظيم، وبدا ذلك واضحا بالدرجة الأولى في السحر والشعوذة، إذ يقومون بمختلف طقوس السحر بناء على رمزية الأرقام وطاقتها السحرية ؛ فيرمون الماء في مفترق طرق أربعة،ويستعملون "الخمسة" لإتقاء العين، أويبخرون سبع مرات حتى تزول عنهم عللهم .وغيرها من الأمور التي مازالت تعشّش في ذهنيات المجتمعات إلى وقتنا الحالي. ولم تعرف الثقافة الشرقية عددا أحيط بالقداسة الأسطورية ، مثلما أحيط العدد سبعة في التراث الشرقي ، بل وجدنا أن قداسته لم تقتصر على الفكر الشرقي فقط، بل شاعت في كل الثقافات الإنسانية البدائية.

الرقم سبعة و الإشعاع الرمزي في جازية و الدراويش لعبد الحميد بن هدوقة :

لم يسلم الأدب هو الآخر من التأثّر بهذا الزخم الأسطوري، الذي يضع حول الأرقام هالة من القداسة وحول "السبعة" بالأخص، ويحاكي عبد الحميد بن هدوقة هذه الملحمة الرقمية الأسطورية في روايته" الجازية الدراويش"، فيقف الرقم سبعة وقوفا شامخا فيها، إذ يتكرر عبر الرواية من أولها إلى آخرها تقريبا، فالقرية تدعى قرية السبعة، والجامع خاص بالأولياء السبعة، والدراويش سبعة ،والرعاة سبعة، والطيب يسجن فيحمل الرقم سبعة في الحجرة السابعة، مما يوحي بكمال تجربة الطيب بوضعه في مكان يرمز إلى القداسة والكمال.

ومن المعروف أن العدد سبعة هو أشهر الأعداد وأكثرها قدسية لدى عدد كبير من الشعوب القديمة والحديثة معا .قال وهب بن منبّه : «كادت الأشياء أن تكون سبعة، فالسموات سبع و الأرضون سبع، والجبال سبعة، والبحار سبعة، وعمر الدنيا سبعة آلاف سنة، والأيام سبعة، والكواكب سبعة وهي السيارة ...»[2] ، ويعود إلى الحضارة السومرية، التي نقلها عنهم البابليون فيما بعد أن «للرقم سبعة في تاريخ الإنسانية معان رمزية عميقة، وله خاصية ليست لغيره، والسبعة جمعت معاني العدد كله وخواصه، وهو يرمز إلى الكمال أو رمز الأمر الكامل، لأنّه عدد التمام، كما أنّه يرمز إلى الكثرة، وإلى كل ما هو عظيم وكبير في الحياة، وواسع الأفق عميق المعاني وذو قداسة ... »[3]، ومن هذا التقديس للرقم سبعة اقتبس السومريون أنوارهم السماوية السبعة ليشيروا بها إلى الانسجام الحال بالعالم[4] .

ومن هنا، جاءت أسطورة الخلق البابلية في ألواح سبعة خلال أيام سبعة.[5]

والرقم سبعة لدى الإغريق يختص به الإله "أبولون" حيث تكمل بجعات ديلوس رحلتها البحرية المقدسة سبع مرات وهي مغنية، فيولد أبولون في (السابع من شهر بيزيوس) فهو الإله السبعي، الذي تكون أعياده فيما بعد بتاريخ سبعة، ويرد في الإنياذة أنّ التضحية لأبولون تكون بثيران سبعة ونعاج سبع[6] أما لدى المصريون القدامى فكان للإله(رع) سبعة أرواح فيرتقي إلى درجة الكمال على أساس عدد أرواحه.[7] .

ومنذ هيبوقراط(Hippocrates)[8] أثيرت الأعمار السبعة للحياة :الطفل الصغير، الولد، المراهق ،الشاب .كل منها يدوم 7 سنوات، ثم الإنسان الناضج حتى 49 سنة أي حاصل(7x 7)، وبعدها يأتي الرجل المسنّ حتّى 56 سنة،أي حاصل 7 x 8 ، ثم الشيخوخة...[9]

لقد تبوأ هذا الرقم مكانة مرموقة في التفكير البدائي ، لجميع الشعوب ، وهو موجود في التقاليد ، والسحر ، والفولكلور ، والديانات الوثنية لدى جل الأمم منذ العصور القديمة ، والحقيقة أن قداسة هذا العدد ليست قداسة ذاتية، وإنما استمدها من المصادر الدينية ،سماوية كانت أم وثنية، إلى جانب الأساطير التي وظفت هذا العدد.

وبالنسبة إلى الديانات السماوية ، لا يكاد يخلو الكتاب المقدس من هذا العدد ، إذ جاء في العهد القديم ارتباط العدد " سبعة " بأسطورة الخلق والتكوين التي تقسم عملية الخلق زمنيا : «على ستة أيام ،كان سابعها فراغ

الإله من عملية الخلق يوم السبت وبارك الله اليوم السابع وقدسه»[10] ، وجاء أيضا «لأنه فيه استراح الله خالقا من جميع عمله الذي عمل ، ستة أيام تعمل ، وتصنع جميع عملك ، أما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك لتقدسه »[11]

أما في العهد الجديد ، فارتبطت قداسة العدد سبعة بحوارات السيد المسيح ، إذ جاء في حواره مع بطرس «يا رب كم مرة يخطئ إلي أخي وأنا أغفر له هل إلى سبع مرات؟ قال له اليسوع : لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات »[12] ، ونجد حديثا شبيها لهذا في إنجيل " لوقى " ، عندما نصح المسيح تلاميذه قائلا لهم: »وإن أخطأ إليك أخوك فوبخه ، وإن تاب فاغفر له ، وإن أخطأ إليك سبع مرات في اليوم ورجع إليك سبع مرات قائلا : أنا تائب ، فاغفر له»[13] .

وفي القرآن الكريم ، حافظ هذا العدد على حضوره الديني ، طالما أن الإسلام لم يناقض الديانات السماوية تماما ، وانما جاء مصححا لما دخلها من تحريف وتزييف ،والدليل على ذلك أن معظم القصص التي جاءت في التوراة والإنجيل ذكرت في القرآن الكريم مع بعض الاختلافات ، إذ أننا« عندما نقارن ما جاء في القرآن بما جاء في التوراة والإنجيل لا نجد اختلافا كثيرا ، فمعظم القصص التي وردت في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، وردت أيضا في القرآن مع بعض الاختلاف في التفاصيل ، مثل قصة خلق الكون ،وحادثة الطوفان ، وقصص الأنبياء... »[14] فبالنسبة لخلق الكون مثلا لا نجد ذكرا للرقم سبعة لكن هناك إشارة إليه في قوله تعالى: ﴿**اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِى وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ** ﴾(**السجدة :04)** .وقوله أيضا :﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ، ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ** ﴾(**يونس: 3)**.

كما نجد في سورة يوسف - عليه السلام - حضورا لهذا العدد ، يقول عز وجل : ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**﴾(**يوسف:43)**.

ويتردد عدد سبعة في القرآن الكريم أربعا وعشرين مرة[15] . ولم يحدث لأي عدد آخر أن تردد مثله ، ولا حتى قاربه في التردد مما يجعل لحضوره القوي في القرآن دلالة خاصة .كما ارتبط العدد سبعة في الإسلام بممارسات دينية طقوسية ، إذ نجد له شأنا عظيما في الإسلام ، حيث يتكرر في كثير من الطقوس ، ففي الحج مثلا يكون الطواف حول الكعبة سبعة أشواط، والرمي بسبع حصيات ، والسعي بين الصفا والمروة سبع مرات ،والذين يظلهم الله بظله يوم الحساب سبعة ، وأبواب النار سبعة ، ونهينا عن سبع ، والمفسدات في الأرض سبع ، وأنزل القرآن على سبع أحرف ، والقراءات سبع ، وعدد سور الفاتحة سبع ، وعدد كلمات التوحيد سبعة .

كما ارتبط الرقم سبعة بالقصص الخرافية ، مثل قصة لقمان بن عاد والنسور السبعة ، وقصة الأميرة والأقزام السبعة ،ومسيرة السبع أيام في قصة لونجة، والثعبان أو الغول ذا الرؤوس السبعة... وقصص أخرى يتكرر فيها الرقم سبعة باستمرار. كما لا تخفى مكانة هذا الرقم في الاعتقادات الشعبية، حيث وجد الرقم سبعة مجالا في ممارسة قداسته وتأثيره على النفوس ، إذ نجد مثلا :اللجوء إلى " التسبيع " وقاية من العين والحسد .

والى جانب الاعتقادات الدينية والشعبية يسجل العدد سبعة، في كل الثقافات، حضورا مميزا، فنجد في تاريخ الحضارة الإنسانية عجائب الدنيا السبعة ،والروابي السبع لروما ، ولليونان الحكماء السبعة ، وللفضاء الكواكب السبعة ، وللثريا النجوم السبع ، وللموسيقى الطبوع السبعة ،والسماوات سبعة والاراضي سبعة، وفي كل الديانات السماوية الموبقات السبع ،وفي اليهودية والمسيحية المزامير السبعة ، وفي المسيحية الأسرار السبعة والخطايا السبع ، والكلمات السبع للمسيح[16] .

ويبدو من كل ما سبق ، أن لهذا العدد أهمية وقيمة إنسانية في تاريخ الأمم والأفراد حيث يتأثر الإنسان - سلبا أو إيجابا - بكل ما اكتسبه عن طريق الدين أو المعتقد ،فترسخ الأفكار في ذاكرته ، ثم تخرج في عاداته اليومية وطقوس تقاليده وحتى في إبداعه الأدبي والفني ، ومن الأمثلة على ذلك ، العدد سبعة ، الذي يرافق الإنسان منذ طفولته أكثر من أي عدد آخر ، حيث ارتبط هذا العدد بفكرة الإنسان الدينية ومعتقده الشعبي المتداول عبر آلاف السنين ، إذ

يفتح الإنسان عينيه على فكرة أن لفظة "السبعة" ذات دلالة دينية متجذرة في الثقافة الدينية والشعبية ، وترافقه هذه الفكرة في أطوار حياته ، وتطغى على فكره وتصرفاته ، فتظهر في إبداعه بالضرورة .

وقد ارتبط هذا الطرح بوصف المقدس في رواية "الجازية والدراويش " لابن هدوقة؛ فالسبعة في الرواية يمثلون الجانب الديني العقائدي المقدس المتمثل في المسجد ،مكان العبادة ، فهو "جامع السبعة" ، والسبعة هم أولياء الله الصالحين المرتبطين بالدشرة وسكانها حيث تؤكد الراوية ذلك بمقولة: «يقال عن الجامع إنه مدفون به سبعة أولياء لهم من يخلفهم أبد الدهر، كلما مات سبعة جاء من بعدهم سبعة، يعبّر المكان عن ذلك بعبارة متداولة بينهم "سبعة يغباو وسبعة ينباو".»[17] فجامع السبعة يأخذ بعدين رمزين البعد الديني المرتبط بتلك الهالة من التقديس كمكان للعبادة والتقرب من الله، والبعد الخرافي المرتبط بالأولياء وقدراتهم الأسطورية والتقرب منهم أيضا كنوع من أنواع التقرب من الله أيضا؛ إذ فالجامع لم يعد مجرد جامع يوجه الناس للدين والعبادة، ولكن يتحول إلى رمز له علاقة بطبيعة الاعتقاد الراسخ بقدسية الأولياء وكراماتهم الأسطورية، وبتلك القوة الدينية والسحرية والأسطورية للرقم سبعة، مما يُثير تلك القيمة التي تعطي المسجد الأولوية والقدسية.

ثم إن هذا الجامع غارق في الرقم سبعة شكلا ومضمونا فقد « بني الجامع في الجهة الشمالية من الدشرة، وله صحن بسبع أقواس، ومدفون فيه سبعة أولياء، ... أن الدعوات الصالحات لدى أضرحة الأولياء السبعة تولد العواقم، وتزوج العوانس، وأن من جاء إلى السبعة بنية سيئة لن ينجومن نقمة أوليائها ...»[18] فجامع السبعة من هذا المنظور يحيل على حيز مكاني داخل الدشرة من جهة ،كما يحيل على قيمة دينية ذات قدسية تتكرر باستمرار فلا تنفذ، لارتباطه بأولياء سبعة كلما مات سبعة ولد سبعة آخرون، مما يدل على استمرارية تلك القداسة والتشبث بها من جهة أخرى.

بذلك كان للعدد سبعة دوره المتميز ، خاصة وأنه تكرر أكثر من مرة ، فأضفى على النسيج القصصي هالة أسطورية لما فيه من السحرية ، فللرقم سبعة حضور في حياتنا وعبادتنا وعاداتنا وتقاليدنا ، بل إنه يطغى على ثقافتنا الحياتية ، وبهذا أصبح قطبا ذا أهمية بالغة في الدراسات الأدبية والأنثروبولوجية ، وأصبح يشكل موضوعا عجائبيا على قدر كبير من الإشعاع ، تحفل به النصوص الأدبية باعتباره موضوعا قائما بذاته ، له مرجعية تاريخية في الفكر البشري ، مدعما بالفكر العقائدي الذي بنيت عليه كثير من المعتقدات الدينية القديمة والاسلامية بخاصة .

وختاما نسلم بداهة أن "ابن هدوقة" ، استطاع في "الجازية والدراويش" أن يستنطق التراث بسهولة كبيرة ، حتى كأني به يسيل مع قلمه بعدم قصدية ،. ف"الجازية والدراويش" تأسرنا بما فيها من فسيفساء تناصية ، فقد قدت من نصوص مختلفة(دينية ، تراثية ، شعبية...) وجاءت هذه النصوص على قدر من التكامل ، ثم إن هذا النص يتضمن العديد من القضايا والموضوعات التي اهتمت بها الأنثروبولوجيا، وهي الأساطير وعلاقات القرابة والزواج والطقوس الشعبية والثقافية القديمة. والروائي، بتوظيفه لهذه الجوانب الثقافية ، استطاع أن يجمع بين ما هو شفوي ومكتوب في الثقافة الشعبية الجزائرية. ومن خلال هذا التداخل بين جنسين، الحكاية الشعبية العجيبة التي منشؤها الأسطورة، والجنس الروائي، استطاع أن يبدع شكلا فنيا راقيا راعى فيه الحداثة الأدبية من تداخل أزمنة وأمكنة، وطبع البعض بالبطولة والبعض الآخر بالأسطورة، ولعل هنا تكمن قيمة هذه الرواية ، وهذا النص الأدبي الذي هو في آن "وثيقة أنثروبولوجية" تكشف جانبا هاما من مخيالنا الشعبي .

الرقم ثلاثة وبقايا من الرقم سبعة في الحوات القصر للطاهر وطار:

من الحوافز الأكثر تعبيراً عن النزوع الأسطوريّ في رواية "الحوات والقصر" للطاهر وطار، ذلك المتّصل بسحرية العدد من خلال ذلك الحضور المهيمن لمجموعة من الأعداد السحرية على معظم مكوّنات الفعل الروائي وهي ثلاثة، وسبعة بخاصّة، حيث «تبدأ الأحداث بالتفتّح التدريجي وفق منطق تخييلي ، تسري فيه تعويذة الأرقام السحرية في محاولة لتأكيد البنية الأسطوريّة»[19] . وعلى الرّغم من أنّ العدد سبعة كان مهيمنا على الرواية وأحداثها ، فإننا لا يمكن أن نتجاهل العدد ثلاثة ودوره في البناء الفني للرواية ، والبناء الرمزي للخطاب . فباستثناء تحقيق علي الحوّات لنذره في اليوم الثالث من بدء الموعد الذي وضعه لتنفيذه، أي صيده سمكة ليقدّمها إلى السلطان بمناسبة نجاته من غزو الملثّمين له« في اليوم الأول اصطاد سمكة تزن عشرين رطلا، فاستصغرها. لم يعرف وادينا سمكا من هذا النوع. في اليوم الثاني اصطاد سمكة تزن أربعين رطلا، فقال إنها ليست في مقام الهدايا التي توجه إلى جلالته. في اليوم الثالث رآها....»[20]

فكان اصطياد السمكة حدثا سعيدا في اليوم الثالث ، ولا تفتأ دلالة العدد ثلاثة تأخذ بعدا مخالفا بعد ذلك لأن تجلّيات هذا العدد في الرواية تضمّنت دلالات سلبية . فأخوة علي الحوّات" اللصوص المجرمين " ثلاثة(جابر وسعد ومسعود)هؤلاء هم الفرسان الملثمون الثلاثة الذين هجموا على السلطان ، ثم تولوا مناصب السلطة القامعة الثلاثة: الحجابة، والحراسة، والاستشارة «برز ثلاثة فرسان ملثمون، يهتفون بحياة جلالته، وبسقوط أعدائه، ويُعملون السيف، في رقاب المهاجمين الذين لم يلبثوا أن ولّوا هاربين. وفي الحين تولى الفرسان الثلاثة، مناصب الحجابة، ورئاسة الحراسة. والاستشارة، وعاد الموكب إلى القصر»[21] ، وعلي يفقد في طريق رحلته لمقابلة السلطان ثلاثة أعضاء من أعضاء جسده: يده، ولسانه، وعينيه.. وحصان الفارس الذي يقف على مدخل قرية الأعداء، خلال حصارها، يصهل ثلاث مرّات. «في قرية الأعداء..... انفتح باب في المدخل من الحديد المطعم، ووقف فيه فارس على أدهم، أحنى الفارس رأسه، برك الحصان الأدهم، وصهل ثلاث مرات. ...تفضل. وصل صوت من الداخل إلى أذن علي الحوات، فانطلق إلى الأمام ولم يكد يجتاز الباب، حتى سمع الحصان يصهل ثلاثا»[22]

ومن المهمّ الإشارة، في هذا المجال، أن للعدد ثلاثة جذرا أسطوريا؛ فالثلاثة هو « رمز التناسق لدى الكثير من الشعوب ، إذ أنّه يشير إلى عدد صور القمر عندما يكون هلالا، بصورة المرأة الشّابة، وعندما يكون بدرا، يرمز المرأة النّاضجة، ولمّا يصبح محاقا بإشارته إلى المرأة العجوز، كما ارتبط هذا الرّقم أيضا بثلاثية أخرى مؤبّدة هي الربيع المتمثّل في المرأة الشابة، والصيف، الذي أخذ صورة امرأة ناضجة، والشّتاء الذي يرمز إليه بالمرأة العجوز »[23] .وهو يتكرر بشكل مكثّف في الحكايات الأسطورية القديمة،حيث يمثل الرقم ثلاثة عددا من كبار الآلهة في ثقافات مختلفة حيث «كان للسومريين جماعة من "الآلهة الكبار"، وكان أكبر الآلهة الذكور ثلاثة هم "آن" إله الجو (ودعاه الأكاديون أخيرًا "آنو") وكان مقر عبادته في "أرك"، و"إنليل" إله الهو اء، وكان مقر عبادته في "نيبُّور"، و"إنكي" إله الجحيم والحكمة (ويسمى "إيا" في الأكادية) وكان مقر عبادته الرئيسي في "إريدو"...

وكان هناك ثلاثة آلهة آخرون هم: "أوتو": إله الشمس (وهو الإله السامي "شماش")، وكان مقر عبادته في سيبَّار ولارسا. و"نانَّا" إله القمر(وهو "سِن" في الأكادية - وكان يُعبد في أوروحاران) وكان مقر عبادته الرئيسي في "أور"، و"إشكر" إله الطقس (وهو "حدد" أو "هدد" بالأكادية، وهو نفسه "بعل" عند الكنعانيين).»[24]

أما في الأساطير الرومانية« كانت جونو وجوبيتر ومينيرفا من الشخصيات المعبودة الثلاث التي دفنت في أضرحة داخل معابد على تل الكابيتول الذي كان المركز الديني لروما القديمة . وقد أطلق على هذه الآلهة الثلاثة "ثالوث الكابيتول"»[25]

ويعتبر الثالوث البابلي(الشمس والقمر والزهرة) مصدر القوى المؤثرة في العالم والكون .[26]

وهناك من يرى بأنّ الرّقم ثلاثة من الأرقام المباركة وذات الأهمية الكبرى لدى القدماء نظرا لقداسته الكبيرة، فمعظم الشعوب ارتبطت عبادتها بألوهات ثلاثة، ففي الألف الثالثة قبل الميلاد، عبد في ميزوبوتاميا ثالوث إلهي هو آنووانليل وايا. وعرفت مدينة طيبة بمصر أمون وموت وخونصو، كما عرفت أيضا إزيس وأوزيريس وحوريس. ولدى الهندوس آلهة ثلاثة عليا هي: براهما وفينشنو وشيفا الإله الذي يدمر كل شيء.[27]

أما لدى البوذيين، فإنّ الرقم ثلاثة يقترب في دلالته من الكلية، لأنّه يمثل بوذا في مظاهره الثلاثة(الجسد والكلام والفكر)، كما يشير أيضا إلى الأزمنة الثلاثة :(الماضي والحاضر والمستقبل)[28] ولا يخفى تجذر الرقم ثلاثة في الديانة المسيحية التي تقوم على الثالوث المعروف(الأب ،الابن ، الروح القدس)، هو معتقد ديني يعني أن لله الواحد ثلاث حالات تتمثل في نفس الجوهر المتساوي، والعلاقة بين الثالوث متكاملة، فبينما أرسل الأب الابن إلى العالم، تم ذلك بواسطة الروح القدس.[29]

وبذلك كان للرقم ثلاثة إشعاعا أسطوريا ينبع من قوته الدالة الرامزة، وبذلك أصبح من أبرز محفّزات النزوع الأسطوريّ في الرواية، وهو يتواتر في تضاعيف السرد تواتراً يبدو معه مكوّناً أساسياً من مكوّنات المحكي الروائي، بل رمزاً تكاد تفقد الرواية بغيابه الكثير من ثرائها الدلالي.

ولئن كان العدد ثلاثة قد اتّسم بطغيان إشاراته إلى ما هو سلبيّ في الرواية، فإنّ العدد سبعة يتّسم بترجّحه بين طرفي ثنائية متقاطبين، هما الإيجاب / السلب والمرادف لجدلية الخير /الشر على النحو الذي تتّسم به البنية

الأسطوريّة بعامة، التي تنهض، على مجموعة من الثنائيات الضدّية المتواترة كـ: الشعب /السلطة ، الخلاص / الدمار ، علي الحوات / اخوته ، الطور/ التخلف ، الأعداء للقصر /الموالون له ....وغيرها من الثنائيات أو ما سمّاه ستروس "الأزواج المتقابلة"(Les Dichotomies) التي تعكس الطابع الجدلي لمفهوم البنية النصية في الرواية حيث يشير الطرف الأول منها إلى الواقع الذي تعانيه القرى السبع التي تشكّل المملكة، ويعبّر الثاني عن توق هذه القرى، بما فيها علي الحوّات نفسه، إلى الخلاص من ذلك الواقع. وقد خضع الرقم سبعة الأسطوري ـ وقد تعرضنا لمدلوله الأسطوري في تحليلنا للرواية السابقة(الجازية والدراويش) ـ إلى قانون الثنائيات الضدية أو الأزواج المتقابلة ، فمثل دور الخير من جانب ، ودل على الشر وجسده من جنب آخر .

ففي الطرف الأول من الثنائية، الذي يمثل الجانب الخيّر في الرواية التي تنضح ب"السبعة "؛ يحدّد علي الحوّات موعداً للوفاء بنذره بأسبوع،« نذرت أجمل سمكة لمولاي السلطان، وسألبي. سأنتظر أسبوعا. وسأجدد بعد انقضائه نذرا آخر لمدة أسبوع « [30]ويفي بهذا النذر باصطياده «سمكة تزن سبعين رطلا» [31]، وينتظر الأنصار الذين كانوا يعدّون للإطاحة بالسلطان ورجاله «سبعة أسابيع» [32]لكي تصلهم إشارة من القصر، فيبدؤوا معركتهم معه، ويتعاقب «سبعة خطباء على المنصّة» [33]ليلقي كلّ منهم خطبة تعبّر عن احترام قريتهم لعلي الحوّات، وثمّة سبعة أسباب تدفع قرية الأعداء / الأباة إلى السماح لعلي الحوّات بالمرور من قريتهم في طريقه إلى القصر« لقد أذنا لك بالمرور من هنا لسبعة أسباب :أولها أنك ابن قرية التحفظ، فلا معنى للتحفظ سوى المعارضة. ثانيها: أن قريتك على ما بلغنا-أنبتك عن ادعائك لتمثل التاريخ .....» [34]، وهاجسهم هو «تحريك الحاسة السابعة عشرة» [35]التي تعني لديهم «حاسّة التزوّد الذاتي... يتعاون على هذا العمل، سبعة أنبياء، وسبعة رسل، وسبعة مخترعين، وسبعة حكماء» [36].

كما يظهر الرقم سبعة مقرونا برقم آخر هو "تسعة " وهذا لا يعني غياب سحريته وإشعاعه الأسطوري لوروده بشكل غير منفرد ، فالشاب الذي يخترع دواء لتخليص رجال قرية "الحظة" من حال "الخصاء" التي اختاروها لأنفسهم تعبيراً عن ولائهم للقصر عكف على ذلك مدّة تسعة وسبعين شهراً حيث يقول «عكفت على اختراع الدواء تسعة وسبعين شهرا وبعد أن توصلت أليه رفضوه. اتهموني بالمعارضة. كتبوا الرقاع وحرروا العرائض، وتذللوا علهم يجدون من يوصلها، لما لم يجدهم ذلك، قالوا أن من الطاعة، ومن الرجولة أن يقاطعوني.... بيد أن نساءهم، أتحن لي مواصلة الحياة. العقار الذي اخترعته لا يعيد الرجولة فقط وانما يهيجها ويقويها. ..، هكذا كنت أتحول في اليوم إلى مائة رجل، وفي الأسبوع إلى سبع مائة رجل، ...وأنا وحدي منذ سبع وتسعين شهرا أقوم مقام، ملايين الرجال.» [37].

وبوجمعة الحوّات(صديق علي الحوات) الذي يفسّر ميل الملوك والسلاطين إلى الجري وراء الأشياء تفسيراً سياسياً يعلّل من خلاله المفارقة بين طبقة الحكّام والحوّاتين "يحمل اسمه.. رقم سبعة إذا ما اعتبرنا الجمعة أسبوعاً [38]و«رحلة علي الحوّات، التي هي في حقيقتها رحلة بحث عن المعرفة تكتمل دورتها زمنياً باكتمال اليوم السابع» [39]، والرواية كلها تحكي حكاية القرى السبعة . ولكل قرية سبعة رجال متميزين فلقرية التصوف خطباؤها السبعة ولقرية الأعداء حكماؤها السبعة ولقرية الحظة فتيانها السبعة ولقرية بني هرار فرسانها السبعة .

وفي الطرف الثاني من الجدلية الذي يمثل الشر بالضرورة ، يمظهر العدد سبعة حين يتعرّض السلطان لهجوم الملثّمين «بعد اليوم السابع من رحلته في الغابات» [40]، ويدعو النبي الذي لم يتمكّن من تبليغ رسالته إلى قرية "بني هرار«بأن لا يسكن القرية غير لقيط أثيم هرب من قومه، فيه الرذائل السبع والعيوب السبعة» [41]ويرسل الرجال الملثّمون الذين يحتاحون قرية التصوّف سبعة منهم إلى علية القوم ليسلّموهم ما لديهم من سلاح، وتقرّر قرية التصوّف، بعد أن افتضّ الملثّمون جميع الأبكار فيها «أن تُفتَض بكارة كلّ وليدة، من طرف الشيخ الملتحي، قبل أن تبلغ أربعة أسابيع» [42]، وثمّة سبع قمم تحيط بقرية الأعداء، ومراكز الحراسة التي يقطعها علي الحوّات في طريقه إلى القصر سبعة، وحين تراه السلطانة تأمر «بجلده سبعمائة جلدة» [43]، وبعد أن تظهر على علي أعراض الإعياء يظنّ الحرّاس أنّه أصيب بمرض فتّاك بفعل عقار دسّته قرية الأعداء في جسده ليعدي القصر، ثمّ يدخلونه مغارة «وينتظرون ما سيؤول إليه أمره بعد سبعة أيّام» [44]، وأعداء القصر واللصوص الذين يحكمونه «لهم سبع وسبعون صفة، وينطقون بسبع وسبعين لغة» [45]..

من هنا نستطيع القول أن إشعاعية العدد سبعة ورمزيته كانت طاغية على الرواية نظرا لتجذر العدد سبعة في ثقافتنا وفي ثقافة الكاتب على السواء كعنصر أسطوري فعال في الواقع والمخيال ، وذلك لقوته الناتجة عن طبيعته الرقمية / الكمية ، ولكن المبدع حاول إعطاءه صبغة الشمولية على النص الأدبي ، إذ وظفه مفردا ومضاعفا، كما جسد عن طريقه أيضا جدلية الصراع بين الخير والشر ،وبالحضور البارز لعنصر العدد في كل مساحة الرواية ، أشع العدد كرمز أسطوري على العمل الإبداعي كله وأكسبه صفته الأسطورية ، التي توحي بالكثرة من جهة ، وبالعجائبية والخرافية من جهة أخرى ، وبخاصية الرقم الطلسمية أوالسحرية من جهة ثالثة ، حسب المعتقدات السامية القديمة المرتبطة بالرقم عموما، وبالرقم سبعة على وجه الخصوص.

الهو امش :

1 ـ مُحَمَّد عجينة،" موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها"، ج2 ، دار الفارابي بيروت ط 1 ، 1994 ، ص196 .
2 ـ المرجع نفسه ، ص197
3 حكمت بشير الأسود، ،الرقم سبعة في حضارة بلاد الرافدين(الدلالات والرموز)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2007 ، ص 11
4 فيليب سيرنج، الرموز في الفن- الأديان -الحياة ، ترجمة.: عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط2 ، 2009، ص 145 .
5 بول فريشاور، الجنس في العالم القديم(الحضارات الشرقية)، ترجمة: فائق دحدوح ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط 3 ، 2007 ، ص 20 .
6 فيليب سيرنج، الرموز في الفن- الأديان -الحياة ، ص460 .
7 مانفرد لوركر،"معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة ، ترجمة صلاح الدين رمضان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1 ، 2000، ص47 .
8 **هيبوقراط** [460- 377 ق. م] أبوالطب، وصاحب القسم المشهو ر باسمه الذي يجعل لممارسة الطب أخلاقيات مهنية ينبغي العمل بمقتضاها ومراعاتها. ويعتبر أول مصلح للطب، وتنسب له نحوستين رسالة تشكل ما يسمى بمجموعة Hippocrates أكثر أطباء اليونان تجديدا وشهرة في زمانه والى أيامنا هذه ،ولد في جزيرة قوس Cos احدى جزر الدوديكانيز، وتوفي في مدينة لاريسة Larissa في اقليم تسالية جنوبي اليونان..ينظر عباس فيصل، معجم أعلام علم النفس والتربية ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1996 ص 48
9 فيليب سيرنج،" الرموز في الفن- الأديان -الحياة ، ص460 .
10 الكتاب المقدس ،ترجمة جمعية الكتاب المقدس في لبنان 1978 العهد القديم ، التكوين ، الإصحاح الثاني (الموقع http://www.elkalima.com)
11 المرجع نفسه، العهد القديم ، الخروج ، الإصحاح الثاني.
12 المرجع نفسه، العهد الجديد : إنجيل متى ، الإصحاح الثامن عشر.
13 المرجع نفسه، العهد الجديد : إنجيل يوحنا ، الإصحاح الأول.
14 الأمين مُحَمَّد الصغير ، العدد 7 في التراث الديني والإنساني ، مجلة المساءلة ، أتحاد الكتاب الجزائريين .العدد2 و 3الجزائر 1992 ، ص133
15 عبد الملك مرتاض ، الميثولوجيا عند العرب ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، والدار التونسية للنشر ، تونس 1989 ، ص72
16 عبد الملك مرتاض ، عناصر التراث الشعبي في اللاز ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .1987 ص25
17 عبد الحميد بن هدوقة ، الجازية والدراويش ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984 ، ص 53 .
18 المصدر نفسه ، ص 65 .
19 المصدر نفسه . ص(153).
20 الطاهر وطار ، الحوات والقصر ، موفم للنشر و التوزيع ، الجزائر 2004 ،ص 20
21 المصدر نفسه ، ص 08
22 المصدر نفسه ، ص 118
23 فيليب سيرنج،" الرموز في الفن- الأديان -الحياة"، ص. 446
24 ماكس شابيروو رودا هندريكس، معجم الأساطير، ترجمة حنا عبود، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط 3 ، 2008،ص 203
25 المرجع نفسه ، ص 218
26 عبد الحميد يونس" الأسطورة والفن الشعبي"، المركز الثقافي الجامعي، القاهرة ط1 ، 1980 ص 58
* ميزوبوتاميا مصطلح من أصل يوناني يعني(بلاد ما بين النهرين)، والنهران هما دجلة والفرات اللذان يشكلان بلاد الرافدين التي صارت تحمل مدلولاً سياسياً وقومياً، هذان النهران ينطلقان من الجبال في شمال تركيا ويجريان إلى الجنوب والجنوب الشرقي على التوالي، لقد شكل هذان

النهران شريان الحضارة في العراق ما ولد اقواماً اصليين استقروا في بقعتهم الخضراء المحاطة بالمياه والغرين(هو جزيئات تربة(غالباً من الطين أوالطمي) المحمول بفعل السيول)، ما اعطاهم لبنات الحضارة الأولى، ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة *wikipedia.org/wiki* /

27 فيليب سيرنج،" الرموز في الفن- الأديان -الحياة، ص من 446 إلى 448 بتصرف

28 المرجع نفسه ، ص 448 .

29 المرجع نفسه ، ص 450

30 الطاهر وطار ، الحوات والقصر ص 09

31 المصدر نفسه ، ص 15

32 المصدر نفسه ، ص 41

33 المصدر نفسه ، ص 43

34 المصدر نفسه ، ص 58

35 المصدر نفسه ، ص59

36 المصدر نفسه ، ص 60

37 المصدر نفسه ، ص 47

38 صبري حافظ،. الحوّات والقصر، البنية التكرارية وتعرية المقموع السياسي. دار شرقيات للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2000، ص 152

39 المرجع نفسه ، ص 155

40 الطاهر وطار ، الحوات والقصر ، ص 08

41 المصدر نفسه ، ص 30 .

42 المصدر نفسه ، ص 37 .

43 المصدر نفسه ، ص 67 .

44 المصدر نفسه ، ص67 .

45 المصدر نفسه ، ص 70

المصادر و المراجع :

1. الأمين مُحَمَّد الصغير ، العدد 7 في التراث الديني والإنساني ، مجلة المساءلة ، أتحاد الكتاب الجزائريين .العدد2 و 3الجزائر 1992 .
2. بول فريشاور، الجنس في العالم القديم(الحضارات الشرقية)، ترجمة: فائق دحدوح ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط 3 ،2007.
3. حكمت بشير الأسود، ،الرقم سبعة في حضارة بلاد الرافدين(الدلالات والرموز)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق2007 .
4. صبري حافظ،. الحوّات والقصر، البنية التكرارية وتعرية المقموع السياسي. دار شرقيات للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2000،
5. الطاهر وطار ، الحوات والقصر ، موفم للنشر و التوزيع ، الجزائر 2004 .
6. عبد الحميد بن هدوقة ، الجازية والدراويش ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984 .
7. عبد الحميد يونس" الأسطورة والفن الشعبي"، المركز الثقافي الجامعي، القاهرة ط1 ، 1980 .
8. عبد الملك مرتاض ، الميثولوجيا عند العرب ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، والدار التونسية للنشر ، تونس 1989
9. عبد الملك مرتاض ، عناصر التراث الشعبي في اللاز ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .1987 .
10. فيليب سيرنج، الرموز في الفن- الأديان -الحياة ، ترجمة.: عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط2 ، 2009 .
11. الكتاب المقدس ،ترجمة جمعية الكتاب المقدس في لبنان 1978 (الموقعhttp://www.elkalima.com)
12. مأكس شابيروو، رودا هندريكس، معجم الأساطير، ترجمة حنا عبود، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط 3 ، 2008.
13. مانفرد لوركر،"معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة ، ترجمة صلاح الدين رمضان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1 ، 2000.
14. مُحَمَّد عجينة،" موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها"، ج2 ، دار الفارابي بيروت ط 1 ، 1994 .